عنوان المحاضرة : أساطير الشرق القديم واليونان والرومان

الكلمات المفتاحية : -الشرق القديم – اليونان - الرومان

ملخص : تعد الحضارات القديمة المهد الأول الذي ولدت في أحضانه الأسطورة كحضارات بلاد الشرق القديم والرومان واليونان حيث كان العقل البشري بسبح بعقله الساذج في رحاب الكون مما دعاه الى محاولة فهم تلك الظواهر فهما بسيطا يمتزج فيه الخيال بالواقع محتكما الى غريزته و تفكيره البدائي مما جعله يتصارع مع نفسه ومع محيطه الذي كان غامض الى حد كبير ولكن ذلك الفضول ساعده على أن يتخطى بعض المراحل في تفكيره ولو بخطى متباطئة وهذا ما سيتضح عند شعوب الحضارات القديمة التي بينت لنا كيفية مرور العقل البشري بذلك التطورالفكري من خلال مراحل تكوين الكون,

عناصر الدرس و أهدافه:

توطئة

مراحل التكوين :

***المجتمع الإلهي**

***قصة الطوفان**

***الأبطال والخوارق**

***مجتمع الجن**

***السحر والسحر**

الأهداف

<u>يظهر</u> الهدف بوضوح في أساطير الشرق القديمة والرومان واليونان التي كانت هي الأخرى تعد العتبة الأولى التي يقف عليها القارئ للتأمل في تلك الحضارات القديمة وما تحتويه من مرجعيات ثقافية و فكرية ودينية قبلية خلّفتها حضارات سابقة لها مما جعل كل الأساطير وعلى مر العصور ذات قواسم مشتركة من حيث المبدأ والتفكير و النظرة للكون والخلق و تفسير تلك الثنائيات الضدية التي تتنازعها قوى الخير والشر والحياة والموت و الأمل والحزن ,لتبقى الأسطورة على اختلاف مضامينها الكوة الوحيدة التي ينفذ من خلالها العقل الإنساني الى تراث الأمم الغابرة متعرفا على أسباب الخلق و طبيعة التفكير البدائي للإنسان الأول,

مقدمة :

يعد تعريف الأسطورة في المحاضرة السابقة من المرتكزات الأساسية التي مهدت لنا الطريق للخوض في هذا الموضوع بكل يسر وتوصلنا في الأخير أن الأسطورة هو الناتج الانفعالي الغير عقلاني وبمعنى آخر أنها تصدر عن حالة انفعالية تتخطى العقل التحليلي الذي ينتج صورا ذهنية مباشرة تمور في اعتباطية بين الذات و الوعي و العالم والمادة فحين أن الأسطورة لو أمعنا النظر لوجدناها أنها ليست تصور انفعالي بحت تتوسط الأفكار في محاولتها للتعبير عن ذلك الانفعال و موضعته في الخارج بل الأسطورة لا تشكل معرفة بالمعنى الدقيق للكلمة,

و السؤال الذي يمكن أن نطرحه هو **كيف يستطيع العقل الإنساني البدائي اختراق هذه البنية الرمزية المعقدة من أجل الوصول الى رسائلها الضمنية؟ وحتى نجيب على هذه الأسئلة نبدأ حديثنا عن** الإنسان كمحور تدور حوله كل البنى الأسطورية و الفكرية و هاهنا نحن أمام مشكلة عويصة وهي مشكلة جوهرية لها علاقة وثيقة بالتفسير وهذا ما حدث في العصور الغابرة عصور أساطير الشرق القديم و اليونان والرومان عندما كانت النظرة التأملية الفطرية للإنسان تدور في مخيلته حول بدايات الزمن الغامضة وجد أنه لولا تلك الديانات الحقيقية التي كشفت له بعض الحقائق فأنارت ذهنه ببعض التفسيرات عن الأشياء و كُنْهها فبان على اثرها في الأفق ما يعرف بمولد الأساطير ,

وفي خضم هذا السكون و التشتت و الضبابية و الرهبة راح الإنسان يطرح الكثير من الأسئلة التي فيها جانب تأملي عميق حول كيفية خلق الشمس؟ و من أين أتت ؟ وماهي هذه الشمس؟ مجيبا نفسه بقوله الشمس قارب أو عربة يجلس فيها الإله المتأنق المبهر و يقوده عبد السماء، كما تساءل الإنسان عن ما وراء رعب الرعد و البرق ؟ وفسرها بأنه اله عظيم يجلس في السماء و صوته هو الرعد و رسوله هو البرق ، فإذا ما هاج البحر في عواصف مدمرة ، فذلك سببه غضب إله الأمواج ذي الشعر الأزرق, كذلك تساءل الإنسان عن أصل الحياة و الموت و النار و سبب رفاهية بعض الناس وسبب فقر البعض منهم ؟ ولماذا يمرض الإنسان؟ ومن أين يأتيه المرض؟ كل هذه الأسئلة الغريبة والمحيرة أمام الإنسان البدائي خلقت الأسطورة وجعلتها تعمر لعمر مديد منتقلة شفاهة عبر الأجيال وعرضة لتغيير مضمونها من قبل القصاصين المهرة والشعراء المحنكين ذو

الخيال الواسع الذين راحوا يضيفون لها بعض اللمسات فاختلفت مضامينها حسب طبيعة الشخص الذي تناولها والبيئة التي احتضنتها مثلا كهميروس الذي تناول الأسطورة بلغته الخاصة مضيفا عليها بعض التغيرات وفي الأخير نسبت له كراويها الأول**(1)**

وحتى نجيب عن كل هذه الاعتقادات الخاطئة التي أبرمت حول طبيعة الأسطورة سوف نقول أن الأسطورة هي جزء من عقيدة قائلها و مثله العليا وعاداته وجزء من نظرته للحياة وفلسفتها فالأسطورة تقوم على حقائق صادقة نابعة من وجدان القائل الا أن الخيال الانساني على مر العصور ألبس هذه الحقيقة أردية بعيدة عن المعقول حتى تكون أكثر جذبا للنفوس وبالرغم من هذه التغيرات التي تصيب مضامين الأسطورة على اختلاف ألوانها من الاهية و بطولية و خرافية أو فكاهية إلا أنها تمثل جزءا هاما من تراث المجتمعات فعدت بمثابة الرصيد الثقافي والقومي للأمم و حتى نضع أيدينا على بدايات ظهور الأساطير القديمة التي تناولتها سنجد أساطير الشرق القديم من بلاد العراق القديم ووادي الرافدين وبابل الا أن موضوع الأساطير هاهنا كان موضوع غير محدد المعالم بل كانت الأساطير ترد مشتتة وأكثرها ناقصة حول موضوع الخلق وبداية التكوين بنظرة مسحية خالية من التفكير العقلاني العميق فحين نجد أساطير السومريين كانت تتحدث وتبحث بتبصر عن بداية خلق الكون والآلهة وأنصاف الآلهة وتصورالانسان لهذا الخالق العجيب العملاق المقدس ، وكيف أقام السماء و الأرض ، وكيف جاءت الكائنات على اختلاف صورها و أشكالها لتعمر الكون كما أن مضامينها استعصت على العقل البشري في حضارات وبلدان سابقة فلوحظ أن العقل البشري في حضارة السومريين كان أكثر ذكاء وبصيرة في

عملية بحثه في شأن خلق الكون أو قصة الخلق بل راح يحدد مراحل هذا التكوين كالاتي :

المجتمع الإلهي :

تصور الإنسان الخالق الأول ، مصدرا رئيسيا للقوة و الخلق، يهيمن على كل شيئ و يسيطر على أركان الكون الشاسع له قدرة التنظيم لكل الكائنات والسيطرة والفصل بين الصراعات و التنكيل بالمسئ ومنح الثواب للمحسن فتباينت صور الآلهة منها :

* الآلهة :

-هناك من آمن بخالق واحد و هو رب الأرباب وكبير الآلهة و البقية تابعة له مساعدة فقط للمهام التي أسندها إليها دون المساس بسلطانه أو تجريده منه,

- كما لاحظ الإنسان في تلك العصور أن الآلهة منها الأنثى والذكر ومنها من تتنازعها قوى الشر والخير فخلقت في ذهنهأسطير جديدة لصور الصراع و النزاع و الطمع والجشع مما يراه ويشهده في عالم الأرض,

قصة الطوفان :

عندما تصور الإنسان مجتمع الآلهة و تخيله ، بدأ يربط بينه و بين مجتمعه حيث كان لابد من إيصال الآلهة بالبشر و اشتباك الأعمال بينهم فنشأت صور جديدة ترسم ذلك الاتصال ، ثم الاشتباك ، ثم الصراع الذي لابد أن يكون,,,

بدأت قصة الطوفان التي جاءت في اعتقاد الإنسان أنها غضب الآلهة عندما يحيد البشر عن الامتثال لأوامرها فتنزل عليه فيضا من عيون السماء فتقضي على كل مفسد غلا واحد يصطفيه الإله فينجو وعلى يده تعود الحياة من جديد فبدت صورة الطوفان واضحة في مختلف الأساطير و تمثلت صورة الإنسان الذي اصطفته السماء ، في صورة نيشتين عند البابليين وتجتوج عند السومريين و دوكاليون عند الاغريق,

الأبطال الخوارق :

بدت الفكرة واضحة لدى الانسان البدائي عندما عجز عن التصدي لبعض الأعداء و توهم أن لهم قوى خارقة وحتى يتغلب عليها استعان بأصحاب الخوارق كالآلهة وأنصاف الآلهة الذين استمدت قوتهم من السماء مثل جلجامش و أنجيدوا عند البابليين ، ورستم عند الفرس و هرقل عند الإغريق,

مجتمع الجن :

لم يكتفي الإنسان بمساعدة الآلهة وأنصاف الآلهة و الخوارق لنيل من الأعداء بل راح يستنجد ب جن شيريون لمساعدته على الانتقام متصورا لمجتمع الجن أنه يشبه مجتمعه فيه حكام و أمراء و صعاليك و أن هذا المجتمع الجني له قدرة هائلة على معاشرة الإنسان في جسده وأكله وملبسه وقد وضع لهذا المجتمع صورة مثالية ، وقوة لا يُعلى عليها و سلطان أكبر من سلطانه و سلطان الآلهة و أنصافها,

مجتمع السحر و السحرة :

وحتى يقوم الانسان بالدفاع عن نفسه دون واسطة الآلهة و أنصافها و الجن راح يبحث عن وسيلة أخرى و هي السحر و في كتاب الأدب الشعبي يقول رشدي صالح : ونحن إذا نظرنا الى السحر الآن بتقديرنا الحديث لرفضناه ، زواعتبرناه أسلوبا من التصرف السَاذج ، ولكنه كان في التاريخ القديم قائما على استخدام القوة الخفية للكلمة ، لأن اختراع اللغة – أي استبدال الصوت بالاشارة أو الرسم – كان انقلابا مذهلا بالنسبة للانسان البدائي ، فاعتقد أن الصوت قدرة خارقة تستطيع إذ نظمت في بضع جمل – أي تعويذة – وتُليت مرارا ، قادرة أن تفرض سلطانها على أي ظاهرة أو كائن أو اله ، ومن هنا اعتقد المصريون القدماء مثلا أن الكلمة هي الأداة الالهية في خلق العالم ، حتى أن **آتون رع يقول في أسطورته : خلقت كل الأشياء مما يخرج من فمي عندما لم تكون هناك سماء و لا أرض مثال آخر كتعويذات ازيس التي تطلق من أجل تحرير جسم رع من الألم** و السحر **في اعتقاد القدماء أنها السيلة الحقة لاجتذاب الآلهة الى صفه و بها يقهر القوى الناهضة و ذلك جليا في حكايا ألف ليلة ولية حتى أن نطق كلمة افتح ياسمسم يلزم هذه القوى أن تنشق الصخرة و تفتح فكان السحر أداة صراع جديد للانسان لصراعه ضد و مع المجهول,**

وفي الأخير عدت أساطير الشرق القديم هي الحضارات التي انطلقت منها الأساطير وبدأت تنبش في عملية الخلق والكون مما جعل الفكر البشري يفتش عن أسباب هذه الظواهر الكونية والغيبيات و كل ما يحيط به إلا ووجد له تفسير يتوافق و طبيعة مجتمعه في تلك الفترة الزمنية وهذه الحضارات هي من كان لها السبق في تطور التفكير البشري من التفكير الساذج البسيط الى تفكير يسوده

نوع من المنطق والعقلانية لتترابط الأساطير وتتشابك في كثير من الحضارات القديمة الرومانية واليونانية والاغريقية لتصب في قالب واحد وهو طبيعة التفكير البشري الواحدة في جميع أصقاع العالم لأن الإنسان بفطرته محب للفضول وتقصي الحقائق ومعرفة أسباب تلك الغيبيات,

لرفضناه ، واعتبرناه أسلوبا من التصرف السَاذج ، ولكنه كان في التاريخ القديم قائما على استخدام القوة الخفية للكلمة ، لأن اختراع اللغة – أي استبدال الصوت بالإشارة أو الرسم – كان انقلابا مذهلا بالنسبة للإنسان البدائي ، فاعتقد أن الصوت قدرة خارقة تستطيع إذ نظمت في بضع جمل – أي تعويذة – وتُليت مرارا ، قادرة أن تفرض سلطانها على أي ظاهرة أو كائن أو اله ، ومن هنا اعتقد المصريون القدماء مثلا أن الكلمة هي الأداة الإلهية في خلق العالم ، حتى أن **آتون رع يقول في أسطورته : خلقت كل الأشياء مما يخرج من فمي عندما لم تكون هناك سماء و لا أرض مثال آخر كتعويذات ازيس التي تطلق من أجل تحرير جسم رع من الألم** و السحر **في اعتقاد القدماء أنها الوسيلة الحقة لاجتذاب الآلهة الى صفه و بها يقهر القوى الناهضة و ذلك جليا في حكايات ألف ليلة ولية حتى أن نطق كلمة افتح يا سمسم يلزم هذه القوى أن تنشق الصخرة و تفتح فكان السحر أداة صراع جديد للإنسان لصراعه ضد و مع المجهول,**

1- ينظر: أمين سلامة : الساطير اليونانية و الرومانية ، ص3،2، 5،4